

سيمياء الشخصية في رواية الأزمة* "فتاوى زمن الموت" لإبراهيم مادي أنموذجاً

أ. كباي وردة
قسم اللغة العربية وإدبها
جامعة عباس لغرور - خنشلة
ouardakebbabi@gmail.com

الملخص:

يسعى هذا المقال للكشف عن التشكيل الفني للشخصية الروائية باعتبارها علامة سيميائية متحوّلة نتيجة تعلقها مع عناصر السرد الروائي (زمان - مكان - حدث) بوصفها علامات مكتملة لها. فالرواية تأمل في الواقع برؤية تخيلية مركزها الشخصية التي سندرسها انطلاقاً من مقولات فليب هامون الذي عدّها مفهوماً سيميولوجياً ووحدة دلالية تحدد بالأفعال والصفات انطلاقاً من تحديد أنماطها وتوزيع العوامل ودراستها بوصفها دال ومدلول، كون هذه المقولات قادرة على توضيح قيمة الشخصية كعلامة سيميائية محورية في البناء السردية الروائي.

الكلمات المفتاحية: الشخصية، السيميائية، الأنماط، العوامل، الدال والمدلول.

Résumé :

Cet article cherche à révéler la composition artistique d'un récit personnel comme un signe de mutant sémiotiques en raison de son association avec les éléments narratifs du romancier (temps - lieu - un événement) en tant que marques complémentaires. Le roman en espérant voir réellement la position personnelle imaginaire que nous étudions la base d'arguments Philippe Hamon, qui comptait le concept Sémiologie unité tag identifie les actions et les attributs d'identification (Modèles et factors de la distribution et étudiée Comme un signifiant et le signifié), le fait que ces déclarations sont en mesure de démontrer la valeur de personnelle en tant que pivot sémiotiques dans la construction de la fiction narrative.

Mots clés: Personnel, Sémiotique, Patterns, Facteurs, Signifiant et le signifié.

*. رواية الأزمة: هي الرواية التي أنتجت خطابها الأدبي في ظل الأحداث السياسية الدامية التي شهدتها الجزائر في تسعينيات القرن العشرين فواكبت الظروف الشديدة التي عايشها المجتمع الجزائري وحاولت تشريح الدوافع المسببة للأزمة وتتبع جل مظاهرها وانعكاساتها السلبية.

Summary :

This article seeks to reveal the artistic composition of a personal narrative as a sign of semiotic mutant because of its association with the narrative elements of the novelist (time - place - an event) as complementary brands. The novel hoping to actually see the imaginary personal position as we study the basis of arguments Philippe Hamon, who counted the concept Simeologia unit tag identifies the actions and attributes of identification (Models and factors of distribution and studied as a signifier and The signified), the fact that these statements are able to demonstrate the personal value as a semiotic pivot in the construction of narrative fiction.

Keywords: Staff, Semiotic, Patterns, Factors, Meaning and the signified.

إذا كانت الشخصية هي المحرك المحوري لعملية السرد الروائي، فهل يمكن أن يتشكل خطاب روائي دون شخصيات؟ فإن أمعا النظر في كتب نقاد الرواية فإننا نجدهم يجيبون على هذا السؤال بالنفي، وذلك لأن "التشخيص هو محور التجربة الروائية"¹، وتكتسب الشخصية أهميتها كعنصر فعال في الرواية بوصفها بؤرة العمل السردية، حيث تهتم الرواية برصد المجتمع الإنساني والذي يمثل فيه الشخص محور العناية والاهتمام، والفلك الذي يدور حوله جل ما في الوجود الإنساني، إذ تسعى الرواية إلى خلق شخصيات تخيلية تقوم بالأفعال السردية وتحرك الأحداث أو تصنعها وتدفع بها إلى التنامي وفق حبكة معينة فتكون بذلك الوسيط بين المؤلف والقارئ وحلقة وصل بين التخيل والواقع. وبالتالي جاز لنا القول أن "الرواية هي فن الشخصية"² بامتياز، لأن هذه الأخيرة هي الفاعل المحرك لبقية العناصر السردية، و"الشخصية بحكم قدرتها على حمل الآخرين على تعرية طرف من أنفسهم كان مجهولا فإنها تكشف لكل واحد من الناس مظهرا من كينونته التي ما كانت لتكشف فيه لولا الاتصال الذي حدث عبر ذلك الوضع بعينه"³.

أما عن موقع الشخصية بالنسبة لبقية المكونات السردية للنص الروائي فيحدده البناء الروائي ككل متجانس تعد الشخصية أهم أجزائه، "إذ لا رواية بدون شخصية تقود الأحداث وتنظم الأفعال وتعطي القصة بعدها الحكائي، ثم أن الشخصية الروائية، فوق ذلك تعتبر العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده كافة العناصر الشكلية الأخرى بما فيها الإحداثيات الزمنية والمكانية الضرورية لنمو الخطاب الروائي واطراده"⁴، إن الشخصية إذن هي المفتاح الذي بواسطته نعرف خفايا وأسرار وحقيقة العالم الروائي بكل مكوناته، فهي التي "تصطنع اللغة وهي التي تبتث الحوار أو تستقبله، وهي التي تصف معظم المناظر، وهي التي تنجز الحدث، وهي التي تهض بدور تضريم الصراع أو تنشيطه، وهي التي تعمر المكان، وهي التي تتفاعل مع الزمن فتمنحه معنا جديدا"⁵.

نظرا لأهمية مفهوم الشخصية في تشييد المعمار السردى الروائي فقد حظيت بكثير من الدراسات التي واكبت تطور هذا المفهوم الذي ساير تطور الرواية من المنظور النقدي واختلف النقاد في تحديد ماهيتها ودورها في الخطاب الروائي.

لقد خضع مفهوم الشخصية إلى "تحولات عميقة منذ أرسطو وعبر الفترات التي أعقبته من تاريخ الأدب"⁶ حيث أصبح من العسير إدراك هذا المفهوم عبر مراحل تطوره وقد اعتبر أرسطو الشخصية تابعة للحدث وذلك عند تنظيره للمأساة، إذ رأى أن هذه الأخيرة لا تصور الشخصية وإنما أفعالها، بحيث "تكون طبيعة الأحداث هي المتحكمة في رسم صورة الشخصية وإعطائها أبعادها الضرورية والمحتملة والتصوير ذاته بقي سائدا لدى المنظرين الكلاسيكيين الذين رأوا الشخصية مجرد اسم للقاء بالحدث"⁷.

مع مطلع القرن التاسع عشر استقلت الشخصية عن الحدث، ولم تعد تابعة له "بل أصبحت الأحداث نفسها مبنية أساسا لإمدادنا بمزيد من المعرفة بالشخصيات"⁸، فلم يعد اهتمام الروائي محصورا في بناء الأحداث واتخاذ الشخصيات وسيطا لإيضاحها وإنما أضحى تركيزه على الشخصية ولا سيما "ملامحها الخارجية، وتصوير مظهرها بدقة، فضلا عن منزلتها الاجتماعية وعلاقتها بالآخرين"⁹ هو هدفه الأسمى إذ تتضح فعالية الشخصية من خلال تواصلها مع الآخرين.

لقد كادت مميزات الشخصية وصفاتها تتحول إلى شكل يتسم بالخواء مع بداية القرن العشرين لولا ظهور الشكلايين الروس الذين حاولوا "تحديد هوية الشخصية في الحكي بشكل عام من خلال مجموع أفعالها دون صرف النظر عن العلاقة بينها وبين مجموع الشخصيات الأخرى"¹⁰ في النص ودون إهمال ملامح الشخصية وسماتها الخارجية وقد تمثلت هذه الجهود في أعمال: توماشفسكي (TOMACHEVSIKI)، بروب (PROPP) وغريماس (GREIMAS).

تعتبر دراسة توماشفسكي (TOMACHEVSIKI) للحوافز، ذات صلة بالشخصية لأنها القاسم المشترك بين الواقع والتخييل، وبين المؤلف والقارئ، إذ يقول "إن إدخال الحوافز، إنما ينتج عن تراض بين الوهم الواقعي ومتطلبات البناء الجمالي"¹¹، فالشخصية بحاجة إلى أدوات تساعدها على صنع الحدث وهذا ما يتمثل في التحفيز.

يعود الفضل في فصل الخطاب عن "الوظائف" إلى "فلاديمير بروب" (VLADIMIR PROPP) في كتابه "مورفولوجيا الحكاية"، حيث ركز على أفعال الشخصيات، ولم يهتم لصفاتها الخارجية "فالشخصية لم تعد تحدد

بصفتها وخصائصها الذاتية بل الأعمال التي تقوم بها ونوعية هذه الأعمال¹².

بعد تفصيله القول في الوظائف، قام بتوزيعها على الشخصيات الأساسية التي حصرها في سبع شخصيات "المتعدي أو الشرير الواهب، المساعد، الأميرة، الباعث، البطل، البطل المزيف"¹³ كما أكد أن كل شخصية من هذه تقوم بعدد من تلك الأفعال المحدودة في إحدى وثلاثين وظيفة.

وانطلاقاً من جهود بروب (PROPP) المنهجية قدم غريماس (GREIMAS) نموذج العامل الذي حاول من خلاله تحديد العلاقة بين الشخصية والعامل باعتبار "العامل مفهوماً أكثر عمومية وتجريداً من مفهوم الشخصية فقد يكون العامل شخصية أو حيواناً أو جماداً أو فكرة، إنه يعادل مفهوم الوظيفة"¹⁴ ويرتكز النموذج العملي الذي أوجده غريماس (GREIMAS) على ثلاثة أزواج من العوامل وهي "الذات والموضوع يجمعهما محور الرغبة المساعد والمعيق يجمعهما محور الصراع والمرسل والمرسل إليه يجمعهما محور الإبلاغ"¹⁵، ونقصد بالمحور العلاقة، إذ تشكل العلاقة بين الذات والموضوع بؤرة النموذج العملي فوجود أحدهما يستدعي وجود الآخر بالضرورة من حيث الدلالة.

"يمثل غريماس (GREIMAS) شبكة العلاقات بين العوامل بالشكل

التالي:

المرسل ← الموضوع ← المرسل إليه

المعيق ← الذات ← المساعد¹⁶

أما تودورف (TODOROV) فإنه يقر بأن الشخصية قضية لسانية محضة "ويتوقف عند وظيفتها النحوية ويجعلها بمثابة الفاعل في العبارة السردية، ليسهل عليه المطابقة بين الفاعل والاسم الشخصي للشخصية"¹⁷.

وقام "كلود برومون" (CLAUDE BREMOND) في السياق المنهجي ذاته، بتحديد الشخصيات وفق توزيع جديد "يستلهم فيه ثنائية الشخصيات الفاعلة والمنفصلة"¹⁸.

المفهوم السيميائي للشخصية عند فيليب هامون (PHILIPPE HAMON) :

إن أهم أبحاث "فيليب هامون" (PHILIPPE HAMON) من الناحية التطبيقية هي دراسته السيميائية للشخصية، والتي تستند إلى مرجعية لسانية، فلقد ربط "مفهوم الشخصية بالوظيفة النحوية التي تقوم بها الشخصية داخل النص"¹⁹.

وقد صنف الشخصيات إلى ثلاثة أنواع: "فئة الشخصيات المرجعية وتضم الشخصيات التاريخية، والشخصيات الأسطورية والشخصيات المجازية والشخصيات الاجتماعية، وفئة الشخصيات الإشارية الشخصيات، وفئة الشخصيات الاستذكارية"²⁰.

وبعد هذا العرض النظري لماهية الشخصية نعود لاستقراء تجليات هذا المفهوم عبر نص "فتاوى زمن الموت" لإبراهيم سعدي، وذلك باستثمار بعض المقولات السيميائية التي جاء بها فيليب هامون (PHILIPPE HAMON)

العوامل وأنماط الشخصيات:

نبدأ دراسة الشخصية من خلال الشبكة العلائقية التي تجمعها بمختلف الشخوص المشكلة للعالم الروائي، بوصفها ذاتا فاعلة، تؤثر وتتأثر وذلك عبر جملة من الأحداث التي تنشأ من تضارب قوى معارضة وأخرى مساعدة، ضمن السياق السردي، ويمكن ذلك وفق الأنموذج العاملي "الذي يصلح لكل أنماط الخطاب السردي، وهذا الأنموذج يتمحور على الموضوع أو الشيء المرغوب فيه، والمقصود من طرف فاعل"²¹. ولكي نتمكن من إدراك هذا

الفاعل (الشخصية) نقوم باستنتاج النص الروائي، الذي نحن بصدد دراسته "فتاوى زمن الموت" للروائي إبراهيم سعدي، إذ تتزاحم أحداث الرواية لتسرد لنا فصول مأساة عاشها المجتمع الجزائري في التسعينيات، على لسان الراوي "موح" الذي يعد واسطة العقد بين مختلف الشخوص والسارد يجلب الحقائق والوقائع بالنظر إلى العلاقات التي جمعتها بشخصيات متعارضة الأنماط مما يساعد على "اقتراب صورتها من الواقع الاجتماعي وروابطه الإنسانية مما يشير إلى أن أبلغ وظائف الشخصية هي ترجمة المعنى الذي يعطيه الكاتب للحقيقة التاريخية الاجتماعية يرسم الراوي عبرها أنموذجا تصويريا للفرد الإنساني ويجسد رؤية ما للعالم"²². إذ تتحد الشخوص التي اختارها سعدي ليثيد من خلالها خطابه الروائي، لتروي لنا حكاية الموت المعلن، موت غيب كل القيم ليصبح القيمة الوحيدة المهمة على الواقع. لقد حاولت الرواية رصد ذلك الواقع الاستثنائي حيث شيدت نصوصها على أنقاض الخراب والدمار والعنف الذي لم يطل البنية الاجتماعية فحسب، بل طال فعل الكتابة وأرق المتخيل الإبداعي فأنج رواية الأزمة التي عالجت إشكالية العنف السياسي الديني في الجزائر. كذلك هي رواية "فتاوى زمن الموت" التي عبرت عن الصراع الإيديولوجي ذي المرجعية السياسية الدينية، إيديولوجية التعصب والتطرف والموت والذي يبدو جليا من خلال العنوان الذي يختصر الشحنات الدلالية للنص، فالزمن زمن الموت، والفتاوى فتاوى الموت، وهذا ما يؤكد المغلوط النصي في علاقته بالمتلقي إذ يشمل "باعتبار العنوان تلخيصا للنص وإعلانا عن محتواه بدون أن يكشف عنه كلية"²³.

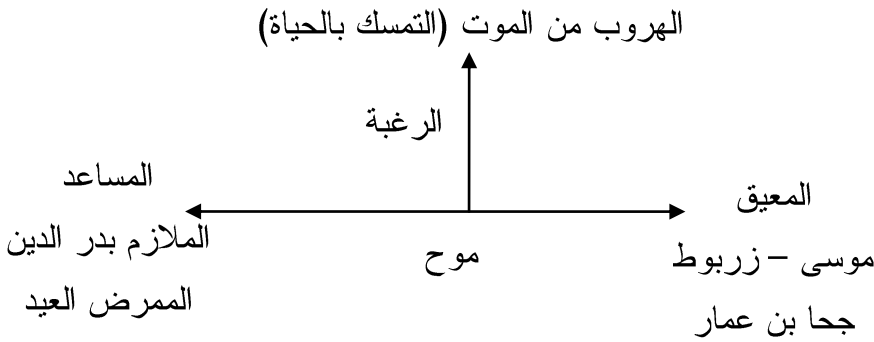
وإذا كان العنوان علامة مفعمة بدلالة الموت، فإن النص يشير إلى دلالة مناهضة للدلالة السابقة، إنها دلالة الحياة التي ينشدها الكاتب من خلال شخصية البطل "موح" الذي يصرع من أجل البقاء ويتشبث بالحياة على

الرغم من الموت الذي يطارده من كل جانب، حيث "يشكل الموت مكانة مركزية في الرواية بحيث لا يطال عدد من الشخوص فحسب بل يمتد إلى المكان أيضا، ولهذا الموت علاقة سلبية بالرغبة تظهر في رغبة بطل الرواية في تحقيق الحياة"²⁴، المتمثلة في صراعه الدائم مع أنصار التطرف ودعاة الموت "زربوط" الذي سعى جاهدا لتنفيذ مشروع الموت في كل مرة، حسب تخطيط "موسى" شقيق "موح"، كما حاول لاغتيال "موح" الذي نجا من رصاصاته، وعنتر الذي خان صداقته لمسعود وقام بذبحه نزولا عند رغبة "موسى"، الذي كفر مسعود وأباح دمه بسبب إنكاره لوجود الله، فكانت نهايته (عنتر) أيضا الموت على يد الشرطة.

أما موسى فهو العقل المدبر لكل العمليات الإرهابية الشنيعة، حيث دبر لذبح "مسعود" وقتل "عبود"، وخطط لذلك الانفجار الذي أودى بحياة بورأسين وثلة من الأطفال كما أمر بقتل أخيه موح وقد أعدم على يد الشرطة (موسى). أما ياسين الحزين فقد مات والده مرضا، وأخوه إبراهيم قتل. أما أخته "خوخة" فقد فرت مع حبيبها حيث فكر في الانتقام منها ولما فشل في العثور عليها قرر الموت انتحارا.

وبعد عرض شخوص الرواية يمكننا القول أن "موسى" و"موح" شكلا معا طرفي الصراع في "فتاوى زمن الموت" باعتبار "موح" صاحب توجه وسطي معتدل، فلم يتأثر بآراء "مسعود" الذي نفى وجود الله، ولم يخضع لفتاوى "موسى" القاضية بالموت تعصبا للدين وانتصارا لرأيه. ومن ثم تلاقت عوامل لتحقيق علاقة الرغبة بين "موح" وهروبه من الموت حيث تدخلت شخصيات معيقة أو معارضة هي: "موسى"، "زربوط"، جحا "ابن عمار" وأخرى مساعدة: الملازم بدر الدين، الممرض العيد على مساعدة "موح" لتفادي الموت والتمسك بالحياة.

ويمكن توضيح ذلك وفق المخطط الآتي:



أما عن أنماط الشخصيات التي وظفها إبراهيم سعدي في خطابه السردى، فتنتهي إلى الفئات الثلاث: مرجعية، إشارية، استذكارية حسب تقسيم فيليب هامون (PHILIPPE HAMON).

قدم سعدي في روايته "فتاوى زمن الموت" صورة صادقة ومحاكاة واقعية لصور التطرف والتعصب والعنف والتحول واستطاع بذلك توظيف شخصيات ذات مرجعية اجتماعية "ونعني بالشخصيات المرجعية التي تحيل على معنى ناجز وثابت تفرضه ثقافة ما بحيث أن مقروئيتها تظل دائما رهينة بدرجة مشاركة القارئ في تلك الثقافة"²⁵، أي أنها الشخصيات التي تسلط الضوء على الإيديولوجية السائدة في المجتمع، وتلك هي الشخوص التي استند إليها "سعدي" في روايته، وهي شخصيات ذات مرجعية اجتماعية بالدرجة الأولى مثل: حسين الميكانيكي، عمار بائع الخردة، بورأسين بائع الحلوى، مبروك الملاكم، الإمام والد قدور، مجنون مريم، عنتر، زربوط، مسعود، موح، موسى، لأنها تمثل بتقلباتها وتناقضاتها ونوازعها ذواتا لها خصوصيتها الواقعية، وهذه المشاركة الجماعية في الأدوار الحكائية لأنماط مختلفة من الشخصيات تنفي عن فتاوى زمن الموت "صفة البطولة المطلقة

وتعطي لكل شخصية دورها المحدد²⁶، إذ تتعدد نماذج الشخصيات في الرواية بين رجل وامرأة، كما تتعدد أنماط هاذين النوعين بحسب الوظيفة المبتغاة من قبل الروائي مثل (الأب - الأم - الابن - الابنة - الأخت - المومس - الأخ).

نلفى في "فتاوى زمن الموت" أكثر من شخصية ذات أبعاد مجازية رمزية حاول الخطاب السردي من خلالها إيصال فكرة وإعطاء معنى بعينه وهذه الشخصيات هي: مسعود - موسى وموح، إذ ترمز شخصية "مسعود" إلى الإيديولوجية الاشتراكية الشيوعية، وترمز شخصية "موسى" إلى الإيديولوجية الدينية، وشخصية "موح" تتوسط الشخصيتين السابقتين إذ ترمز إلى الاعتدال والوسطية النابذة للتعصب والتطرف، المؤمنة بالحوار، فرسمت بذلك التقاطع والتضاد بين سلطة السياسة وسلطة الدين مشكلة صورة للوطن المأزوم بين القوى المتعارضة، "فموح" الذي أبدى صمودا وشموخا في وجه الموت، يمثل إرادة الوطن في الحياة، وقوة المجتمع الجزائري وتماسكه، حيث كادت الأزمة أن تؤدي به لكنه ظل يناضل بقوة كيما تعصف به رياح المأساة. والجلي أن هذه الشخصيات تتداخل فيها المرجعيات ولا سيما المرجعية الاجتماعية والرمزية. وهذا ما نلمسه في ثنايا السرد "مسعود: هل تعرف يا موح بأنني لم أعد أو من بوجود الله ... أن لا يكون الله موجودا يعني أن يكون الإنسان حرا في أن يفعل ما يشاء .. لقد كان يبحث عن وجود الله في كتب سبينوزا وشوبنهاور وهيجل وغيرهم"²⁷، فبحث مسعود في هذه الكتب يدل على توجهه الاشتراكي.

وقد "كان موسى في بداية الأمر صوفيا ... كان موسى شديد التدين ... في الفترة التي عرضت عليه فيها قضية مسعود ودعوته إلى إجراء جدال معه حول الموضوع كان موسى قد ترك عالم التصوف وتوقف عن كتابة

الشعر، ... كان آنذاك قد أصبح عضوا نشطا في الجبهة الإسلامية التي ترشح بعد ذلك في إحدى قوائمها أثناء الانتخابات التشريعية وفاز بمقعد في البرلمان، لكن الانتخابات ألغيت وحل حزبه²⁸.

ونلمس الطبيعة الرمزية لشخصية "موح" في هذا المقطع

"موح: ما رأيك في خوض جدال مع أخي موسى

وقد لاحظت أنه من الصعب في الواقع أن يظل المرء في حالة تأهب دائم، فقد كانت هناك دائما أوقات أنسى فيها وجود حكم بالموت يخصني، لقد كان الإحساس بالحياة يتغلب على هاجس القتل ... الممرض: لقد نجوت أيها الأخ: الحمد لله²⁹.

يدرك المتصفح للرواية مدى تداخل الشخصية المرجعية مع الشخصية الإشارية التي تعتبر "دليلا على حضور المؤلف أو القارئ أو من ينوب عنهما في النص"³⁰ وهذا ما نلمسه في شخصية "موح" السارد العالم بحقيقية الشخوص عامة ومجريات الأحداث. فهو الصوت المهيمن على السرد في "فتاوى زمن الموت" من بدايته إلى نهايته. "موح: كنت بصحبة "زربوط" حين رأيت عمار بائع الخردة يتشاجر مع حسين الميكانيكي ... فيما بعد علمت أن الملازم بدر الدين كان قد اغتيل يومين بعد دخولي المستشفى"³¹.

وظف سعدي - بالإضافة إلى الشخصيات المرجعية والشخصيات الإشارية - الشخصيات الاستذكارية بوصفها "علامات تنشط ذاكرة القارئ، بعبارة أخرى إنها شخصيات للتبشير، فهي تقوم بنشر أو تأويل الأمارات، إن الحلم التحذيري ومشهد الاعتراف والتمني والتكهن والذكرى والاسترجاع ...³²، تعد شخصية عبود أحد نماذج هذا النوع ويتضح ذلك في قوله: "أنا أعلم أنكم في يوم من الأيام ستهدرون دمي لكنني اغفر لكم عملكم هذا وأشفق

عليكم، إن دمي حلال لكم أيها الناس، فاقتلوني واعبدوا إبليس، إن مآلكم الهلاك. إننا نعيش في بداية زمن يقتل فيه الأخ أخاه والأب ولده والابن أباه، إنه زمن تشرق فيه الشمس من الغرب وتغرب في الشرق، زمن تدور فيه عقارب الساعة إلى الوراء..."³³ حيث يتنبأ بما سيحدث في زمن الموت. وموح في استرجاعه لمختلف الذكريات الماضية عن طفولته وأصدقائه وتلك الأحكام التي توالى في نومه "موح: وقد أصبحت أرى منامات أذبح فيها دائماً، بحيث أنه لو حدث ذلك في الواقع لكانت رقبتى قد قطعت عدة مرات، وآخر حلم رأيته ظهر فيه عنتر بلحية طويلة وقد كان معه أشخاص مجهولون تسللوا إلى البيت عبر الباب والنوافذ والشرفة بدون إحداث أدنى جلبة كالشياطين، وبينما مجهولون يمسكون بي في فراشي مسك الكباش لحظة الذبح"³⁴. والملاحظ أن المرجعيات الثلاث، قد تكون متداخلة في نمط واحد، وهذا ما لمسناه من خلال شخصية "موح" فهي شخصية مرجعية إشارية تكرارية. وهذا ما أكده "فيليب هامون" في إمكانية انتماء شخصية واحدة إلى الأنواع الثلاثة، إما في وقت واحد أو بشكل تتابعي.

متعلقات الشخصية:

يعتبر الواقع المرجع الأول للبناء الفني للنص الروائي، إذ يحاول هذا الأخير إعادة إنتاج الواقع من خلال محاكاته. والرواية بما تصنعه شخوصها من أحداث وبما تنقله إلى القارئ من حقائق برصد أفعالها وصفاتها تحيل على الواقع بالرغم من حقيقتها التخيلية، فالشخصية تبدو العنصر الأكثر بروزاً منذ فاتحة السرد، إذ تطل مقرونة بفضاء زمكاني أو حدث معين ولكنها تتضح وفق العناصر الآتية:

أولاً: الاسم ودلالته

يعد "الاسم" علامة لافتة تحدد هوية الشخص عند ذكره، دون الحاجة إلى إشارة أخرى ف "الاسم علامة لغوية مؤلفة من دال ومدلول، محكومة في بداية تأسيسها بالاعتباطية، لتتطور فيما بعد إلى التعليل والتفسير"³⁵. ويمكننا إدراك أهمية هذا العنصر من خلال تأكيد "فيليب هامون" (PHILIPPE HAMON) أن "الهم الهوسي الذي يحمله جل الروائيين في عملية اختيار أسماء أو ألقاب لشخصياتهم"³⁶ مسلم به.

وباعتبار الاسم علامة كان لزاماً أن يعبر عنه بشقي الدال والمدلول.

وبالإضافة إلى كون الاسم الأداة الإيهامية بالواقع، فإنه يضطلع بدور تمييزي حيث يمكن من خلال الأسماء التفريق بين الشخصيات "إنه تحديد انتقائي يلوح شاخصاً كدلالة على النص"³⁷.

لم يكن الاسم في "فتاوى زمن الموت" مجرد دال لغوي فحسب، بل حمل معاني اصطفت بمرحلة التسعينات التي أثرت سلماً على المجتمع الجزائري، هذه الأخيرة أي الرواية عملت على تحديد حقيقة الشخصية والكشف عن دالاتها.

والملاحظ في نظام التسمية الذي اتبعه "إبراهيم سعدي" في "فتاوى زمن الموت" أنه نظام متنوع..

إذ اعتمد تقنية الازدواج في تحقيقه، فكل شخصية اسم حقيقي تعرف به، ولقب تدعى به، ربما يعود ذلك إلى طبيعة المجتمع الجزائري الذي لا يكتفي بذكر الإسم الحقيقي، بل يميل دائماً إلى منح الألقاب الموضوعية الدالة على الشخص وصفاته إن حقيقة أو مجازاً أي بصورة ضدية، وهذا ما لمسناه في "فتاوى زمن الموت" فمثلاً: سليمان الذي بسبب قامته وإفراطه في الحركة سمي زربوط"³⁸، وصالح الملقب ب "عنتر"، وهذا ما يبرره بالإجابة عن

سؤال موسى "لماذا لقبوك باسم عنتر؟ عنتر: ربما بسبب لوني"³⁹، ويأسين "لأنه لم يبتسم إطلاقاً لقب بيأسين الحزين"⁴⁰.

سعى إبراهيم سعدي وهو يضع "الأسماء لشخصياته أن تكون متناسبة ومنسجمة بحيث تحقق للنص مقروئيته وللشخصية احتماليتها ووجودها"⁴¹، وهذا هو مصدر ذلك التنوع الذي يطبع أسماء شخصياته الروائية. فمرة يقرن الاسم بلقب مهني وهذا ما يؤكدته المتن الروائي مثل قوله: "عمار بائع الخردة، حسين الميكانيكي، مسعود الأستاذ الجامعي، مبروك الملاك، العيد الممرض، الملازم بدر الدين ونجده في بعض الأحيان يطلق على شخوصه أسماء عاهات تميزهم عن غيرهم مثل: "بورأسين"، أو يشير إليهم بألفاظ القرابة كقوله: الإمام والد قدور، والد ياسين الحزين.

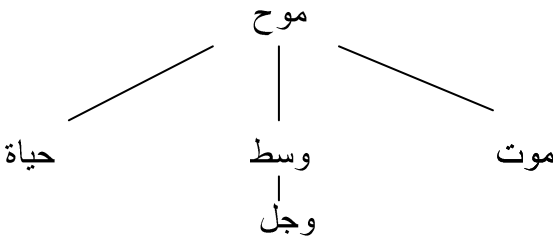
كما وظف أسماء ذات مرجعيات مختلفة سواء كانت دينية مثل: إبراهيم، موسى، زكريا، صالح، سليمان، مريم" التي تحفل بها "فتاوى زمن الموت" وأسماء ذات مرجعية أسطورية مثل: مجنون مريم الذي يحيلنا على "مجنون ليلى"، و"جحا ابن عمار"، والذي يشير إلى شخصية شعبية معروفة بالحيلة والطرافة. وأسماء ذات مرجعية اجتماعية شعبية مثل: مبروك، قدور، عبود، خوخة، العيد.

وبإمكاننا تتبع الدال اللغوي ومدى مطابقته للمدلول في "فتاوى زمن الموت" في نماذج متعددة.

نبدأ باستعراض شخصية البطل "موح" الذي يقترب اسمه من لفظة "موت"، إذ يشتركان في الحرفين الأولين، غير أن حرف (حاء) في الدال الأول يدل على الحياة كمدلول محوري مناقض للموت، كما يحمل مدلولات متعددة: كالحكمة والحلم اللذين اتصف بهما "موح" في تعامله مع الشخوص والمواقف، والحيرة التي تملك موح في تعامله مع الموت الحتمي الذي

ينتظره، والحزن على مآل موسى وأصدقائه: مسعود، عنتر، ياسين الحزين، وأيضاً على وضعه حيث أضحى وحيداً ينتظر مصيره المحتوم.

ولو قابلنا الحروف الثلاثة (م، و، ح) التي يكون مجموعها اسم (موح) بكلمات مبدوءة كل منها بحرف من أحرف هذا الاسم لرأينا أن تلك الكلمات مطابقة لوظيفة الشخصية الحاملة لهذا الاسم:



ومن النماذج الأخرى لتطابق الدال مع المدلول أي الاسم مع الدور "زربوط" فدلالته اللغوية الشعبية توحى بالحركة والقصر والمكر والدهاء وهي تتطابق مع حقيقة الشخصية كما هو واضح في الرواية، فأقرب الناس إلى الأرض أشدهم مكرًا، مما يؤدي إلى التناسب بين وظيفة الدال ووظيفة المدلول.

إزاء هذا التطابق بين الدال والمدلول ينبثق التعارض بينهما في نماذج أخرى (عنتر/صالح) حيث يحيل الدال الأول على قوة البنية والشجاعة والوفاء والثاني على الصلاح والتقوى والصبر فهو اسم لنبي من أنبياء الله لكن صفات الشخصية الروائية توحى بعكس ذلك إذ تعبر عن ضعف البنية والجبن والخيانة والفساد وهذا ما نلمسه في خيانة عنتر لصديقه مسعود حيث قام بذبحه.

واسم مسعود الذي يحيل على السعادة والنشوة والفرح وعلى الرغم من ذلك فإن الشخصية تتسم بالحزن والضياع والاعتراب والوحدة كما هو موضح في المتن الروائي.

وموسى وهو اسم من أسماء أنبياء الله تعالى فقد اصطفاه الله من بين خلقه وشرفه بتكليمه، وهنا تبرز خصوصية هذه التسمية التي نستشعر وقعها الايجابي لدى المتلقي، حيث وظفها "سعدي" كملفوظ لغوي له دالتين متضادتين: الاستقامة والتدين والإيمان وضدها دلالات العنف والتطرف.

وباعتبار الشخصية "وحدة دلالية قابلة للتحليل والوصف، أي من حيث هي دال ومدلول وليس كمعطى قبلي ثابت"⁴²، وباعتبار أن الروائيين يشتركون في وضع الأسماء لشخصياتهم، فإن نقطة الاختلاف بينهم تكمن في كيفية تقديمهم للشخصيات وهذا ما نصلح عليه بالمدلول.

والمقصود بالتقديم الطريقة التي يلجأ إليها الروائي حتى يستطيع رسم شخصية بجل ملامحها دون إهمال الضرورة الفنية الجمالية "فهناك من جهة الروائيون الذين يرسمون شخصياتهم بأدق تفاصيلها وهناك من يحجب عن الشخصية كل وصف مظهري، ومن جهة أخرى هناك منهم من يقدم شخصياته بشكل مباشر وذلك عندما يخبرنا عن طبائعها وأوصافها أو يوكل ذلك إلى شخصيات تخيلية أخرى أما التقديم غير المباشر للشخصيات فيكون عندما يفسح الكاتب المجال للقارئ فيترك له استخلاص النتائج التعليق على الخصائص المرتبطة بالشخصية وذلك سواء من خلال الأحداث التي تشارك فيها أو عبر الطريقة التي تنظر بها تلك الشخصية إلى الآخرين"⁴³.

وأمام اختلاف الرؤى وتعدد الإشكالات التي يطرحها تقديم الشخصية في الرواية يقترح "فليب هامون" (PHILIPPE HAMON) مقاييسين

أساسيين يفيدان في التعرف على الشخصية وتصنيفها دلالياً: "المقياس الكمي، وينظر إلى كمية المعلومات المتواترة المعطاة صراحة حول الشخصية. المقياس النوعي: ينظر إلى مصدر المعلومات حول الشخصية، هل تقدمها الشخصية عن نفسها مباشرة أو بطريقة غير مباشرة عن طريق التعليقات التي تسوقها الشخصيات الأخرى أو المؤلف، أو إذا تعلق الأمر بمعلومة ضمنية تم الحصول عليها من خلال فعل الشخصية ونشاطها"⁴⁴ واستعمالنا لهذين المقياسين يمكننا من إدراك أبعاد الشخصية ضمن البنية الروائية.

من الواضح أن الروائي إبراهيم سعدي أتقن إعطاء المعلومات وإسناد الصفات لشخصه وذلك بالتركيز على رصد العلاقات المنطقية بين وجودها الخارجي ووجودها الداخلي وبين سياقها الاجتماعي والإيديولوجي الذي يندرج ضمنه ذلك الوجود، بالنسبة لأغلبية الشخوص التي شكلت نواة السرد في "فتاوى زمن الموت" مثل: زربوط، عنتر، مسعود، ياسين الحزين، موسى، مجنون مريم، مبروك، قدور، خوخة، مريم، إذ نجد تعدد وتنوع في المعلومات حول هذه الشخوص لإبرازها من جميع النواحي.

وقد لجأ الروائي سعدي إلى التقديم غير المباشر لشخصياته وذلك بالكشف عن صفاتها وطبائعها الواحدة تلو الأخرى على لسان السارد "موح". من ذلك مثلاً: "كان ياسين شاباً أسمر البشرة ذا شعر أجدع وعينان صغيرتان توحيان بالطيبة والحزن، لقد كان من عادته أن يضع يديه في جيبي سرواله ويتحدث بصوت هادئ وموزون ومنخفض بعض الشيء، لقد كان متحفظاً، لم يعرف عنه أنه انتقد أحداً في يوم من الأيام، لذلك كانت علاقته جيدة مع كل سكان الحي ... ولأنه لم يبتسم إطلاقاً لقب ياسين الحزين"⁴⁵ فالروائي استرسل في تقديم كل ما يتعلق بهذه الشخصية من معلومات خارجية أو نفسية والحال ذاته بالنسبة لكافة شخوص الرواية.

أما تقديمه لشخصية البطل "موح" فقد اعتمد أولاً على السرد الذاتي المباشر حيث تحدث موح عن صباه وتعلمه وما تعرض له من ضرب وإهانة من قبل أطفال الحي القصديري وكيف انتقم له كل من: زربوط، عنتر، مسعود، ياسين الحزين "في تلك الأيام كنت تلميذا في مدرسة حرة تمارس التدريس بالعربية..."

وبالرغم من أن أقصر طريق يؤدي إليها يمر بالحي القصديري فقد كنت أتفاده دائماً، لكن في إحدى المرات اضطررت إلى المرور من هناك حتى لا أتأخر عن المدرسة الفرنسية... وما هي إلا لحظات حتى جعل هؤلاء يسرعون وبعد ذلك جعلوا يضربونني قبل أن يوقعونني أرضاً ويركلونني بأقدامهم... في مساء ذلك اليوم تحولت مجموعة مؤلفة من زربوط، عنتر، مسعود، وياسين الملقب بالحزين إلى تلك الأكواخ التي قضى فيها مبروك طفولته، هناك عند مشارف ذلك الحي، دبوا كميناً، ذهب ضحيته طفل صغير⁴⁶.

اعتمد الروائي في تقديمه للشخصية ذاتها "التقديم غير المباشر والذي يقضي بوصف أعمال وأفعال الشخصية وعدم الإحالة المباشرة على صفاتها وترك ذلك لذكاء القارئ"⁴⁷، حيث لم يقدم حول شخصية "موح" معلومات صريحة، بل ترك استنتاج صفات وحقيقة هذه الشخصية للقارئ وذلك بتفسير مواقفها وتصرفاتها، ومن خلال الخطاب الروائي تبدو شخصية موح معتدلة متفهمة هادئة بعيدة عن الحكم المطلق على الآخرين يبدو ذلك في مد يد العون والمساعدة لكل من مسعود وياسين وخوخة، كما أنها شخصية تعاني الوحدة في صمت وذلك ما تجلى في بكائه العلني في المشفى فهو يملك أختاً واحداً "موسى" الذي أفتى بقتله. كما يمتاز بالوفاء والإخلاص فموح لم يخن أصدقاءه بل شعر بالذنب لأن الموت أخطأه واختطف مسعود،

كما أنه يحترم معاناة وآلام الآخرين ولا يسعى إلى إذاعة وإفشاء أسرار الآخرين بل يكتمها مثلما فعل مع "خوخة" حيث أحرق دفترها ومعه كل أسرارها فكأنما ألقى عليها حجاباً يسترها كما ورد على لسانه في الرواية. يمكننا القول أن "فتاوى زمن الموت" في تقديمها للشخص جمعت بين التقديم المباشر وغير المباشر بما يكمل بعضهما الآخر، وبما يحقق معرفتنا بها مركزاً على وصفها سعياً لجعلها أكثر واقعية وهو المسار الذي التزمت به الرواية إذ تسرد واقع الأزمة.

ويتضح من خلال الرواية أن المقياسين الكمي والنوعي يمداننا بما يجب لفهم طبيعة الشخصيات، حيث نجد معلومات صريحة عن كل الشخص تقريبا بما يستوجبه المقياس الكمي، كما نلمس تعدد مصادر المعلومات حول الشخص من الشخصية ذاتها أو السارد أو ما تم استنتاجه ضمناً من أفعال الشخص وهذا ما يمثل المقياس النوعي والذي يقوم على مبدأ التحول و"المقصود بهذا المبدأ هو ميل الشخصية الواضح إلى التحول تبعاً للتغيرات التي تطرأ على الأحداث في السرد"⁴⁸ وهذا ما يتجلى في دينامية وتحول شخصية كل من: عنتر، زربوط، مسعود مثلاً.

تختص رواية "فتاوى زمن الموت" بالمزج بين محكي الأقوال ومحكي الأفعال، غير أن هذا الأخير يسيطر على السرد "إذ يعتبر ما يخبر به الراوي من بين أهم مصادر العملية الإخبارية"⁴⁹ فموح حين يحدثنا عن الشخص يصفها ويتتبع سلوكها، فهو الصوت المهيمن على السرد إلا أنه يفسح المجال لهذه الشخص لتتحدث بأصواتها وتفصح عن رؤاها وأفكارها، لكن بما يتلاءم ومقصده ويدعم رؤيته.

ثانياً: وصف الشخصية

يعتبر الوصف الخطاب الذي يميز كل موجودات الفضاء الروائي، ومكوناته من زمان ومكان ولا سيما الشخصيات، حيث يكشف عن دواخل هذه الأخيرة وعوالمها السيكلوجية وحقيقتها المظهرية، فيمنح لكل شخصية تميزها داخل النسق السردي بما يضمن تفردها عن الشخوص المشابهة لها أو المختلفة عنها، إذ يستعمل الوصف "من أجل تبرير الانسجام الداخلي للشخصية من خلال نسجها لعلاقة ما بين فعل ومجموعة من الأفعال، بين سبب ونتيجة"⁵⁰ مستخدماً اللغة كأداة لمحاكاة الموصوفات المرئية الواقعية.

وتأكيد التداول الدلالي بين السرد الوصفي أمر مسلم به، لأن الاختلاف بينهما كامن في الوظيفة. "فالسرد يعمل على إعادة التتابع الزمني للأحداث أما الوصف فيمثل موضوعات متزامنة ومتجاورة في المكان"⁵¹.

أما العلاقة بين الوصف والشخصية علاقة ثابتة، إذ يمثل "الوصف الآلية التي تعمل على تشكيل الشخصية ورسم ملامحها وتجذيرها في الواقع وإكسابها هويتها الخاصة"⁵² وهذه العلاقة لا تقتصر على الجانب التصويري الذي يحدد حقيقة الشخصية الروائية فحسب بل تنفتح على المستوى الدلالي لهذه الآلية الفاعلة الذي يحرر الوصف من القيد البصري ويجعله علامة دالة ضمن البناء الروائي ذات علاقات متعددة مع كافة عناصر الخطاب الروائي. وهذا ما يتجلى في رواية "فتاوى زمن الموت"، حيث اهتمت بالوصف الخارجي دون إهمال دواخل الشخصيات، وقد جاء في أغلب الحالات إن لم نقل كلها على لسان السارد "موح" حيث اعتمده الروائي كمصدر للمعلومات الخاصة بكل الشخوص، إن كانت نفسية أو اجتماعية أو خارجية، وهذا مثال من الرواية يوضح ذلك: "في الفترة التي شهدت توبة قدور ظهر في الحي شاب اعتاد أن يأتي في كل مساء ليجلس على بعد حوالي خمسين متراً من

بورأسين ... وكان هذا الشاب البالغ آنذاك حوالي عشرين سنة يتميز بمظهره الأنيق وبجمال وجهه الحلق دائما بعناية. وكان شعره الرقيق الداكن المشوط دائما مشطا دقيقا يلعب في كل مرة لمعان الاسطوانة الجديدة، وكانت تسريحته غير مألوفة في ذلك الوقت عند الشباب فقد كان يصفه إلى الخلف من غير أن يترك أي خصلة على جبهته الشيء الذي كان يجلب إليه الانتباه من جهة ويجعله يبدوا أكبر من سنه من جهة أخرى، وقد كان يرتدي على الدوام بدلة جميلة ويحمل ربطة عنق وينتعل حذاء لامعا ... وبما أن مساحة من الذهول والشوق والحزن لم تفتأ تكسو وجهه الجميل فإننا لم نلبث أن أطلقنا عليه تسمية مجنون مريم⁵³ فهذا المقطع يوضح أن السارد قام بوصف مجنون مريم وصفا ماديا دقيقا وذلك بالتركيز على وسامته وأناقة مظهره هذا الوصف الذي يوحي بدلالة اجتماعية ضمنية، تتمثل في يسر حالته المادية وبأنه ينتمي إلى طبقة اجتماعية مرموقة، بعكس أهل الحي الذي تسكنه مريم، مما جعله محط أنظار أهل الحي، أما عن حالته النفسية فقد اختصرها السارد في الشوق والحزن.

ويصف السارد حالته النفسية حيث يتبع "الوصف تدفق انفعالات داخلية، تختلج في نفسية الشخصية، وهي تتفعل تحت تأثير حدث ما"⁵⁴. حيث يتم التعبير بواسطة الوصف عن الإحساس المرافق للحدث.

وهذا ما نلمسه في هذا المقطع: "في القاعة التي كنت أعالج فيها كان الجرحى يغادرون المكان بمجرد تماثلهم للشفاء نظرا لنقص الأسرة، لكن البعض منهم كان لا يغادر القاعة فقط، بل هذا العالم أيضا. في هذه الحالات كان الاكتئاب ينتابني دائما، كنت لا أطيق رؤية هؤلاء المساكين، في كل مرة كان الأمر يذكرني بما نجوت منه، كانت تعتريني حالات حادة من الشعور بالذنب كما لو أنه من العدل أموت أيضا ... ربما يعود الأمر إلى

كوني اكتشفت في تلك الأيام درجة الوحدة التي بلغت... فقد وجدتني بعد ذلك أجهش باكياً⁵⁵ فالكاتب جعل من الوصف مطية للتعبير عن انفعال "موح" بالحدث المتمثل في منظر المرضى المغادرين المشفى والموتى المغادرين الحياة ومدى شعوره بالذنب كونه حيا وشدة وحدته مما أدى به إلى البكاء ليشعر بالراحة.

"ويتحقق الوصف-الحدث حين يصبح الوصف وحده مضطلعا بمهمة سرد أحداث عبر الجمل الوصفية"⁵⁶ لملامح الشخصية وما تتصف به أثناء الفعل وهذا ما يبينه الروائي من خلال تتبعه لحالة "خوخة" وهي تتلقى نبأ موت أخيها "ياسين" من قبل السارد موح "ظلت على ذلك الحال وقتا طويلا، يهتز جسمها اهتزازا خفيفا متواصلا وصامتا، أما أنا فقد بقيت واقفا بلا حراك على مقربة منها... أنتظر أن تستدير نحوي لأعرف ما إذا كانت لا تزال بحاجة إلي... ولا زال الأمر كذلك إلى أن أخرجت من جرابها منديلا وأنشأت تكفكف دموعها قبل أن تستدير نحوي وترنوا إلي بعينها السوداوين العميقتين... أمام قبر أخيها ظلت خوخة تبكي طويلا"⁵⁷. فالوصف هنا عبر عن حدث الموت الذي اتصف به ياسين ومدى تأثيره في خوخة حيث يقدم هذا الأخير حكاية معارضة للحكاية الظاهرة (محاولة ياسين الانتقام من خوخة) وقد انفلت الوصف هنا من حصار التمثيل البصري إلى مجال التمثيل الرمزي، حيث تتعدد الدلالات فحال خوخة وحرزها وبكاؤها لم يكن فقط على أخيها ياسين وإنما لأنها باعت شرفها وضميرها ودينها من أجل عاطفة وهمية سلبت إرادتها وحولتها إلى شقية وتعيسة ومنبوذة وضائعة ووحيدة. كما وصفتها الرواية على لسان موح.

وقد عمد الروائي إلى جعل الوصف يعبر عن التضاد الدلالي ولا سيما إذا تعلق الأمر بالمقارنة بين وضعين زمنيين للشخصية مثل تقديم

الراوي لشخصية قدور قبل وبعد التوبة "قدور كان شابا مرهوب الجانب لم يمض وقت طويل على خروجه من السجن ... سنة بعد ذلك تحول قدور إلى إنسان آخر، يرتدي جبة بيضاء ويضع على رأسه شاشية من نفس اللون ويذهب إلى الجامع لإقامة الصلاة ويمشي خافضا رأسه إلى الأرض ويلقي السلام على الناس"⁵⁸، ففي الزمن الأول اتسمت الشخصية بالقسوة والعنجهية والتفاخر بنفسه والابتعاد عن الله وعدم القيام بالعبادات وتهديد ممتلكات الناس أي قبل التوبة، ما بعدها فتحوّلت الشخصية كلياً من النقيض إلى النقيض، وهذا المدلول المعنوي يقابله دال شكلي مرتبط بتغيير المظهر الخارجي للشخصية الذي يكشف عن تغيير نفسي تام جعل من قدور إنسان آخر.

ونخلص إلى أن الوصف في "فتاوى زمن الموت" دل على حالة الشخوص النفسية والخارجية والتحول الذي طرأ عليها خادماً بذلك دلالة النص الروائي باعتبار الشخصية الفاعل الرئيس في حركة الأحداث.

ثالثاً: الحوار

يعتبر الحوار الوسيلة الفاعلة في كشف منطق الشخصيات، والغوص في ذواتها، وقراءة لأفكارها، وتلمس طموحاتها، والإجابة عن تساؤلاتها حيث يكون الحوار مع شخص معين في موقف ما في العادة، سبب كاف للحكم عليه من زاوية معينة، بأنه متزن أو مضطرب، لين أو خشن، خير أو شرير، أو ما شئت من الصفات المتضادة، وهذه الحقيقة تجعلنا نؤكد أن ثمة "علاقة بين الكلام والمتكلم به، أو القائل والمقول به، استناداً إلى ارتباط الحوار بالشخصيات المتكلمة به"⁵⁹.

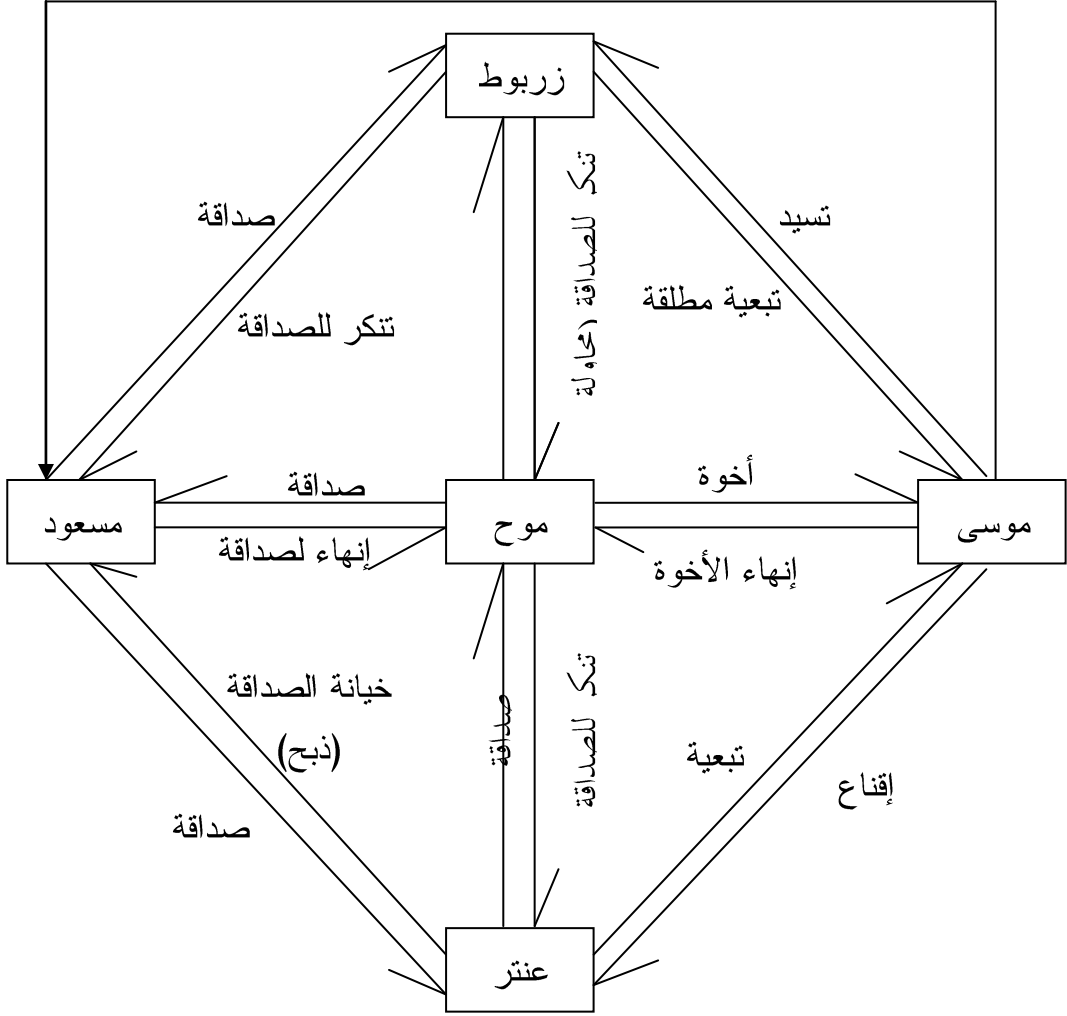
وهذه العلاقة يجب أن يراعيها الكاتب وهو يكون شخصياته، حتى ينجح في رسم ملامحها وتحديد هويتها بما يستقطب القارئ باعتبار "الحوار كلاماً ذا حساسية مفرطة، دائم التحول والتغير والاختلاف طالما يقع تحت

ضغط موجّهات مختلفة وكونه خطاباً مشتركاً بين الذات والفاعلة والمؤلف والقارئ⁶⁰، لذا يعد علامة ذات دلالات واصله بين عناصر الخطاب الروائي، ولا سيما إذا تعلق الأمر بالشخصيات والتواصل فيما بينها. والحوار في "فتاوى زمن الموت" لصيق بالشخصيات، إذ لكل واحدة من الشخصيات حوارها الذي يميزها كدال ويحفظ لها مكانتها الاجتماعية والإيديولوجية التي تسير في ذلك واحد هو الصراع بين الخطاب الشيوعي الاشتراكي والخطاب الديني منسجماً مع الغاية الكبرى التي طرحتها الرواية وهي انعدام الحوار بين الخطابين الذي أفرز الأزمة في التسعينيات، وكانت الرواية السباقاة لمحاكاتها بكل أبعادها.

1- الحوار الخارجي:

ويبدو أن أهم حوار يشكل بؤرة النص السردي في "فتاوى زمن الموت"، الجدل الفكري الذي دار بين موسى ومسعود، والذي دام أكثر من سنة وقد انتهى بإصدار موسى فتوى بتكفير مسعود وإباحة دمه "في الفترة التي عرضت عليه فيها قضية مسعود ودعوته إلى إجراء جدال معه حول الموضوع ... شرع في نسج علاقات مع جماعة الدعوة والتبليغ ... كان موسى بدأ نقاشه مع مسعود حول وجود الله وقد كنت حاضراً معهما في ذلك اليوم لكنني لم أتدخل ولا مرة، لقد بقيت صامتاً طوال المجادلة ... وقد انتهى ذلك النقاش الذي دام أزيد من عام نهاية سيئة، ليس لأن موسى فقد إيمانه، بل لأنه أفضى إلى تكفير مسعود في الأخير ... فأصبح منبوذاً في الحي"⁶¹، وبالتالي يمكننا القول أن الصراع بين الطرفين شكل شبكة العلاقات بين شخوص الرواية، إذ لا نتصفح حلقة من حلقات الرواية، إلا واستوقفنا مشهد حوار، يبرز من خلال الروائي تعارض الأصوات الروائية، إذ يقع البطل السارد "موح" في مركز هذا التعارض باعتباره الوسيط بين موسى ومسعود.

ويمكن توضيح ذلك وفق المخطط الآتي:
إصدار فتوى بتكفير مسعود وقتله



أما بقية الحوارات بين الشخصيات السابقة الذكر (موح - مسعود - موسى) وزربوط وعنتر فهي فرعية بالنسبة للحوار الأساسي لأنها تدور في سياقه العام، ويتضح أن السارد "البطل"، "موح" هو أكثر الأطراف مشاركة في الحوارات الخارجية ومن ذلك:

"موح: ولكن يا موسى، كان قد وضع فيك ثقته
موسى: وما حاجتي إلى ثقة كافر؟ هل تريدني أن أخون الله
موح: كان عليك أن تراعي على الأقل علاقتي به، فهو أقرب صديق
إلي لو تصورت لحظة أنك ستشهر به في الحي لما نصحته قط بمناقشتك.
موسى: لا يجوز أن تتخذ من عدو الله صديقاً لك عليك يا موح أن
تختار إما الله وإما الشيطان.
موح: بل علي أن أختار بينك وبين هذا الذي تسميه الشيطان.
موسى: إذا فضلته على الله عز وجل، فلا حاجة لي أن تفضلني
عليه.

موح: أنا حقا أحس بنفسي بعيد عنك لأن، لا أظنني أستطيع أن أغفر
لك عملك.

موسى: لا يهمني سوى رضا الله، أما عبدا حقيرا مثلي فلا أنتظر
منه شيئا يا أخي موح

موح: أنا أيضا لن أنتظر منك شيئا بعد اليوم اللهم إلا الشر⁶².
وقس على ذلك بقية الحوارات بين مختلف الشخصوس:
(مسعود/زربوط)، (زربوط/عنتر)، (عنتر/موح)، (مسعود/موح)،
(موسى/عنتر)، (موح/موسى).

2- الحوار الداخلي (الذاتي)

ونجد الحوار الداخلي في "فتاوى زمن الموت" ولا سيما ما يدور بين
موح وذاته من أفكار وتساؤلات ومشاعر، بوصفها حوارا باطنيا المنطلق فيه
والمعاد الذات. وهو "من التقنيات الحديثة المستخدمة في تقديم تيار الوعي
عند الشخصية"⁶³.

ومن أمثلة الحوارات الذاتية المحدودة العدد في الرواية بالنظر للحوارات الخارجية، محادثة موح لنفسه "لأنني توقعت أن يلقي خطبته على الناس كما اعتاد أن يفعل في المآتم والأسواق، فقد تساءلت مرة أخرى إن كان حكيماً أم مجنوناً؟ هل كلامه صدق أم محض هراء؟ هل يملك القدرة على التنبؤ بالغيب كما يظن الناس؟ وهل هو قديس أم إبليس؟"⁶⁴ وهذا الحوار يكشف حيرة موح ومحاولته كشفه حقيقة شخصية "عبود" الذي طالما تنبأ بحلول المأساة وما سيحدث في زمنها ما جعل موح يتساءل عن صدق ما يقول، هل حقاً سيحل زمن تستباح فيه كل القيم وتطفو على السطح قيمة واحدة هي قيمة الفناء والعدم. فالحوار هنا يترجم ضبابية الرؤية وقتامة الزمن ومحنة الوطن، حتى أن عبود شبه الزمن الأسود بزمن القيامة، والحوار يكشف عن وجل موح من تجلي زمن الموت حقاً.

ومرة أخرى في حوار داخلي يسأل موح نفسه لماذا لبي طلب "خوخة" لما طلبت لقاءه؟ "أنا لا أعلم بالضبط إن كان ذلك من أجل الوفاء بالوعد لا غير، أم سعياً وراء أجوبة عن الأسئلة التي ما فتئت أطرحها على نفسي طوال الليل. ما الشيء الذي حمل خوخة على الرجوع إلى الحي؟ كيف تجرؤ على ذلك رغم تسببها فيما اعتبره الجميع أكبر فضيحة عرفها الحي؟ هل هي على علم بانتحار أخيها ياسين؟ ماذا جرى لها مع جورج بيلتان؟ ماذا تريد مني"⁶⁵، هذه التساؤلات تكشف عجلة موح وفضوله في كشف حقيقة عودة "خوخة" إلى الحي وما هي الأسرار التي تخبئها؟.

ويحمل الحوار دلالات مخبوءة وراء تلك التساؤلات هي: إشفاق "موح" على خوخة وحالها ومحاولة مساعدتها، ووفائه لأخيها "ياسين" بمحاولة مواساتها إيماناً منه بأن الذنب ليس ذنبها، بل ذنب الزمن الذي قتل

كل القيم وحول الإنسان إلى أزهد الموجودات وانتهك مشاعره، إنه زمن المأساة.

ويمكننا القول بعد استقراء عنصر الحوار بنمطيه في "فتاوى زمن الموت"، أنه ساهم في رسم الشخص، وكشف عن الصراع الفكري بينها، وكان أداة عملية في محاكاة واقع الأزمة إذ كشف عن أنماط الشخصيات باستنتاج أفكارها ومرجعياتها فحقق بذلك التفاعل بين الشخص، وإن كان تفاعلا ذا قيمة سلبية لأنه ولد العنف الناتج عن عدم التقاء الرؤى.

ويمكننا القول أخيرا أن تضافر العلامات الثلاث (اسم الشخصية والوصف والحوار) ساهم في تصوير الشخص في نص الرواية، بدأ بالإسم الذي منحها تفردا في عالم الرواية ومن ثم الوصف الذي ساعد على بيان حقيقتها المظهرية والباطنية مقرونا بالحدث الذي تؤديه وبعدها جاء الحوار الخارجي ليكشف علنا عن الصراع الإيديولوجي في "فتاوى زمن الموت" برصد الشخصية في واقعها الاجتماعي المأساوي من خلال تعارض الأفكار والرؤى لتسمح الرواية بتقاطع الواقع والمنخيل في خطاب الأزمة.

الهوامش:

¹. محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010، ص93.

². فضيلة فاطمة دروش، سوسيولوجيا الأدب والرواية، دار أسامة للنشر والتوزيع الأردن، ط1، 2013، ص 129.

³. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، دط، 1998، ص 79.

⁴. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء-الزمن-الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009، ص 20.

5. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، ص 91.
6. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء-الزمن-الشخصية)، ص 207.
7. المرجع نفسه، ص 208.
8. المرجع نفسه، ص 208.
9. إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، منشورات دار الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 174.
10. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء-الزمن-الشخصية)، ص 50.
11. حميد لحميداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء ط3، 2000، ص 23.
12. المرجع نفسه، ص 25.
13. المرجع نفسه، ص 25.
14. محمد بوعزة، تحليل النص السردى وتقنيات ومفاهيم، ص 65.
15. فليب هامون، سيمولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة: سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2013، ص 19.
16. محمد بوعزة، تحليل النص السردى وتقنيات ومفاهيم، ص 67.
17. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء-الزمن-الشخصية)، ص 215.
18. المرجع نفسه، ص 221.
19. المرجع نفسه، ص 213.
20. فليب هامون، سيمولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة: سعيد بنكراد، ص (35-36).
21. فيصل غازي النعيمي، العلامة والرواية: دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمان منيف، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص 192.
22. نفلة حسن أحمد، التحليل السيميائي للفن الروائي: دراسة تطبيقية لرواية الزيني بركات، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 2012، ص 39.
23. عبد المالك أشهبون، العنوان في الرواية العربية، النايا للدراسات والنشر والتوزيع ومحاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص 20.
24. ضياء غني لفتة وعواد كاظم لفتة، سردية النص الأدبي، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011، ص 155.
25. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء-الزمن-الشخصية)، ص 217.

26. فيصل غازي النعيمي، العلامة والرواية: دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمان منيف، ص 178.
27. إبراهيم سعدي، فتاوى زمن الموت، منشورات التبيين، الجاحظية، الجزائر، 1999، ص 68-69.
28. المصدر نفسه، ص (73، 117)
29. المصدر نفسه، ص (70، 125، 131)
30. فليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة: سعيد بنكراد، ص 36.
31. إبراهيم سعدي، فتاوى زمن الموت، ص (3، 136).
32. فليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة: سعيد بنكراد، ص 36.
33. إبراهيم سعدي، فتاوى زمن الموت، ص 93.
34. المصدر نفسه، ص 124.
35. فيصل غازي النعيمي، العلامة والرواية: دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمان منيف، ص 205.
36. فليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة: سعيد بنكراد، ص 63.
37. نفلة حسن أحمد، التحليل السيميائي للفن الروائي: دراسة تطبيقية لرواية الزيني بركات، ص 85.
38. إبراهيم سعدي، فتاوى زمن الموت، ص 07.
39. المصدر نفسه، ص 81.
40. المصدر نفسه، ص 85.
41. حسن بحراري، بنية الشكل الروائي (الفضاء-الزمن-الشخصية)، ص 247.
42. المرجع نفسه، ص 213.
43. المرجع نفسه، ص 223.
44. محمد بوعزة، تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم، ص 43-44.
45. إبراهيم سعدي، فتاوى زمن الموت، ص 85.
46. المصدر نفسه، ص (61-62-63).
47. حسن بحراري، بنية الشكل الروائي (الفضاء-الزمن-الشخصية)، ص 55.
48. المرجع نفسه، ص 239.
49. حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 51.

- ⁵⁰. فليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة: سعيد بنكراد، ص 83.
- ⁵¹. فيصل غازي النعيمي، العلامة والرواية: دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمان منيف، ص 212.
- ⁵². المرجع نفسه، ص 213.
- ⁵³. إبراهيم سعدي، فتاوى زمن الموت، ص (22-23).
- ⁵⁴. عبد اللطيف محفوظ، وظيفة الوصف في الرواية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص 58.
- ⁵⁵. إبراهيم سعدي، فتاوى زمن الموت، ص (131، 132).
- ⁵⁶. عبد اللطيف محفوظ، وظيفة الوصف في الرواية، ص 59.
- ⁵⁷. إبراهيم سعدي، فتاوى زمن الموت، ص (103-104-106).
- ⁵⁸. المصدر نفسه، ص (13، 16).
- ⁵⁹. نفلة حسن أحمد، التحليل السيميائي للفن الروائي: دراسة تطبيقية لرواية الزيني بركات، ص 98.
- ⁶⁰. فيصل غازي النعيمي، العلامة والرواية: دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمان منيف، ص 218.
- ⁶¹. إبراهيم سعدي، فتاوى زمن الموت، ص (74-75-76).
- ⁶². المصدر نفسه، ص (76-77).
- ⁶³. نفلة حسن أحمد، التحليل السيميائي للفن الروائي: دراسة تطبيقية لرواية الزيني بركات، ص 102.
- ⁶⁴. إبراهيم سعدي، فتاوى زمن الموت، ص 92.
- ⁶⁵. المصدر نفسه، ص 102.